الاختلاس وتدرّجات الاختزال الحركي في الأفعال الثلاثية في لهجة وادي سوف

Abstraction and gradations of shorthand vowel in triple verbs in Wadi Suf dialect

نور الدين مهري[1,*]

[1]جامعة الوادي، (الجزائر)، noureddine-mehri@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2021/09/01 **تاريخ المراجعة**: 2021/09/29 **تاريخ النشر**: 2021/12/30

ملخص:

يعالج هذا المقال موضوع الاختلاس واختزال الحركات في الأفعال وتبعيضها في لهجة وادي سوف، وهذه الحركات قد تكون مكتملة كما هو الحال في العربية، وقد يُنطق جزء منها فقط، كما هو الحال في بعض القراءات القرآنية وبعض اللهجات.

ولقد حاول المقال أن يزيل التداخل المصطلحي بين مصطلح الاختلاس وبقية المصطلحات التراثية الدالة على التدرّج الحركي، ويبين أثر الاختلاس باختزال جزء من الحركة أو اختزالها كلّها بالتسكين في الأفعال الماضية والمضارعة.

الكلمات المفتاحية: الاختلاس، التدرّج الحركي، اختزال الحركات، الاضطراب المصطلحي، الرّوْم.

Abstract:

This article deals with the issue of vowel reduction in verbs in the Wadi Suf dialect .These vowels may be complete, as it is used in central Arabic language, and only part of them may be pronounced, as is the case in some Qur'anic readings and some dialects.

The article used to remove terminological interference between the term abstraction and the rest of the traditional terms indicating the vowel gradation, moreover it shows the effect of abstraction in reducing part of the vowel, or reducing it all in past and present tenses .

Key words: *Abstraction, gradation of vowels, vowel reduction, terminological disorder, sound reduction.*

* المؤلف المراسل.

تقديم:

الحركات أو الصوائت في العربية قسمان: طويلة، وهي الألف والواو والياء، وقصيرة، وهي الفتحة والضمة والكسرة. وإذا نظرنا إلى الصوائت القصيرة وجدناها تأتي عقب الصوامت، فحين ننطق أحد الصوامت متحركا، فإننا ننطق جسم هذا الصامت أولاً، ثم نُتبعه إحدى الحركات، فإذا سلبنا الحركة وأسقطناها، نتج عندنا صامت ساكن.

وهذه الصوائت أو الحركات قد تُنطق تامة مكتملة، كما هو الحال في الفصحى، وقد يُنطق جزء منها فقط، كما هو الحال في بعض القراءات القرآنية وبعض اللهجات.

وموضوع تبعيض الحركة اعتنى به القدماء من علماء القراءات، لارتباطه بالقراءات القرآنية التي تتوافق مع بعض اللهجات العربية القديمة التي يشيع في بعضها اختلاس الحركات، واعتنى به علماء اللغة والنحو أيضا، لكونه ظاهرة من الظواهر اللغوية.

ونحن اليوم بحاجة إلى معالجة هذا الموضوع لارتباطه باللهجات، فتجزئة الحركة سمة واضحة في لغة الخطاب بخلاف الإشباع الذي هو سمة اللغة الأدبية.

وأكثر المصطلحات شهرة للدلالة على تجزئة الحركة هو مصطلح الاختلاس، فما هو الاختلاس؟ وما هي المصطلحات الأخرى الدالة على معناه؟ وما أثره في الأفعال الثلاثية الماضية والمضارعة؟ وكل هذه الأسئلة وغيرها سيجيب عنها هذا المقال.

أولا- تعريف الاختلاس:

1- لغة: عند العودة إلى معاجم اللغة يتبين لنا أن (الاختلاس) مشتق من مادة (خلس)، وهو أخذُ الشيء مخاتلة واجتذابا1، وخلستُ الشيء واختلسته وتخلّسته، إذا استلبته2، ويدل على الاختطاف والالتماع3، وأخلس رأسُه، فهو مخلِس وخليس: إذا ابيض بعضه4، والمخلوس: هو الذي لا يكاد يُرى5.

ومما سبق يتبيّن لنا أن معنى الاختلاس في اللغة يدور حول الاختطاف السريع، وأخذ الشيء بسرعة، بحيث تتغير حقيقته وتنقص كميته.

2- اصطلاحا: لقد كان علماء القراءات أكثر عناية من النحاة بمصطلح الاختلاس وغيره من المصطلحات الدالة على اختزال الحركات، لارتباطه بالقراءات القرآنية، فقد درسوا هذه المصطلحات وبيّنوا معناها، ومنهم ابن الجزري الذي عرّف الاختلاس بأنه: "إسراع بالحركة إسراعاً يحكم السامع له أن الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن"6.

وعرّف أبو عمرو الداني الصوت المختلَس بقوله: "أن يُسرع اللفظ به إسراعاً يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهي كاملة في الوزن، تامة في الحقيقة، إلاّ أنها لم تمطَّط، فخفيَ إشباعها ولم يتبين تحقيقها"7.

وهذان التعريفان ينطلقان من المعنى اللغوي للاختلاس، ويخصّصانه في الإسراع بالحركة والأخذ من كميتها.

ثانيا- الاضطراب المصطلحي في موضوع تجزئة الحركة:

إن الباحث في هذا الموضوع يلاحظ اضطرابا واضحا في المصطلحات الدالة على الاختزال الحركي الذي يبيّن تدرّجات الحركة من الكمال حتى تصل إلى السكون، فقد أُطلقت عدة مصطلحات للدلالة على هذه الظاهرة، منها: الاختلاس، والرَّوْم8، والإخفاء9، والاختطاف10، والاجتزاء11، والإشارة12، والحركة الضعيفة13، والحركة المجهولة14. وكل هذه المصطلحات تدل على نقصان الحركة في النطق وعدم تمامها.

وقد حاول علماء القراءات والتجويد إعطاء كل درجة من درجات التجزئة الحركية مصطلحا خاصا بها، فقد اعتبروا الحركة قبل التجزئة حركة كاملة أو تامة أو مشبعة15، فإذا ذهبت الحركة كليّا وزالت تماما فهو السكون، وبين تمام الحركة وزوالها درجتان، وحول هاتين الدرجتين حدث اختلاف مصطلحي بين القراء فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين النحاة من جهة أخرى؛ فقد اعتبر أغلب القراء الاختلاس مختلِفا عن الرَّوْم؛ قال ابن الجزري: "فالروم عند القراء غير الاختلاس، وغير الإخفاء أيضا، والاختلاس والإخفاء عندهم واحد، ولذلك عبّروا بكل منهما عن الآخر، وربما عبّروا بالإخفاء عن الروْم أيضا"16، وبعضهم حدد كمية المنطوق والمحذوف من الحركة في الاختلاس والرّوْم، وبعضهم لم يحدد ذلك.

وهكذا فقد حدث التداخل بين المصطلحين بين القراء أنفسهم؛ قال عبد الفتاح القاضي وهو يتحدث عن الاختلاس: "وإن جرت عادة بعض المصنّفين على تسميته روْما تساهلا"17، وقال أيضا: "والمراد بالروْم هنا الإخفاء والاختلاس، وهو الإتيان بمعظم الحركة"18.

وأما علماء اللغة والنحاة فلم يفرّقوا بين المصطلحين، ولم يحددوا مصطلحات تدل على تدرجات الحركة، واعتبروهما بمعنى واحد، قال ابن الجزري: "الرَّوْم عندهم إخفاء الحركة فهو بمعنى الاختلاس"19، وقال الجوهري وهو يعرّف الرّوْم: "ورَوْم الحركة الذى ذكره سيبويه هي حركة مختلسة مخفاة لضرب من التخفيف، وهي أكثر من الاشْمام لأنّها تُسمع، وهى بزِنَة الحركة، وإن كانت مختلسة مثل همزة بين بين"20، وقد بيّن السيوطي أنّ "الروْم حالة متوسطة بين الحركة والسكون"21، وبيّن ابن يعيش أن الرَّوْم صوت ضعيف، كأنّك تروم الحركة ولا تتمّها، وتختلسها اختلاسا22. وقال ابن الوراق: "فأما الروْم فهو الاختلاس للحركة"23.

وهذا ما جعل عبد الصبور شاهين يقول: "إنّ الرّوْم تحدّد بمعنى اختلاس الحركة عند النحاة، ومعنى ذلك أن الحركة في الرّوْم أو الاختلاس تكون أقصر زمنا من الحركة الكاملة"24.

وقد اختلف القراء والنحويون في حقيقة الروم في المفتوح والمنصوب غير المنون؛ فالقراء لا يقرّون دخوله على حركة الفتح، لأن الفتحة خفيفة، فإذا خرج بعضها خرج سائرها، لأنها لا تقبل التبعيض كما يقبله الكسر والضم بما فيهما من الثقل، والروْم عندهم بعض حركة. أما النحاة فيقولون بدخوله على حركة الفتح كما يدخل على الضم والكسر، لأن الروم عندهم إخفاء الحركة، فهو بمعنى الاختلاس، وذلك لا يمتنع في الحركات الثلاث25.

ومما سبق يتضح الاضطراب في المصطلحات الدالة على مختلف مراحل تدرّج الحركة بين علماء القراءات من ناحية، وبينهم وبين النحاة وعلماء اللغة من ناحية أخرى.

ثالثا- ضبط مصطلحات التدرج الحركي:

حتى نزيل هذا اللَّبس المصطلحي بسبب الاضطراب الذي رأيناه لدى كل من القرّاء والنّحاة في تحديد المصطلحات المناسبة لتدرجات الحركة وتجزئتها، فإنني أرى أن يظلّ مصطلح الاختلاس دالاً على اختزال ثلث

الحركة، كما ذهب إلى ذلك معظم علماء القراءات، ونخصّص لاختزال ثلثي الحركة مصطلح الرؤم، بدخوله على الحركات الثلاث كما قرر النحاة، على الرغم من أن أغلب علماء القراءات منعوا دخوله على حركة الفتح، لأنهم يعالجون الموضوع في إطار القراءات القرآنية، بينما يعالج النحاة هذا الموضوع في إطار لغة العرب، وهي أوسع وأشمل مما ورد في القراءات القرآنية.

وتظل الحركة قبل الاختلاس حركة تامة أو كاملة، فإن سُلبت الحركة تماماً فهو السكون. وهكذا نكون إزاء أربعة مصطلحات تتعلق بالحركة وتدرجاتها:

الحركة التامة أو الكاملة: وهي التي لم ينقص منها شيء.

الاختلاس: وهو ذهاب ثلث الحركة وبقاء ثلثيها.

الرؤم: وهو ذهاب ثلثي الحركة وبقاء ثلثها، ويتعلق بالحركات الثلاث.

السكون: وهو سلب الحركة وانعدامها.

رابعا- الاختلاس في الأفعال الثلاثية:

الأفعال الثلاثية في العربية تأتي على ثلاثة أوزان: (فَعَل) و(فَعِل) و(فَعُل)، وقد قسّم العلماء هذه الأفعال على حسب مضارعها إلى ستة أنواع26، وسنبدأ الحديث عن الأوزان الثلاثة الماضية، ثم نتبعها بمضارعها:

الأفعال مفتوحة العين (فَعَل):

لقد استعملت لهجة سوف عددا من الأفعال على وزن (فعَل) ، وتأتي الفاء دائما مفتوحة في العربية، لكون الفتح أخف الحركات27 ولأنه لا يُبتدأ بساكن، ويدخل الاختلاس حركة فاء (فَعَل) في اللهجة، فيقلّل من كمّية الحركة، ليُحدث الانسجام بين الحركة المختلسة وحركة عين الفعل المفتوحة، والأفعال المختلسة على وزن (فعَل) كثيرة في اللهجة، وتنقسم قسمين: أفعال غير ممالة وأفعال ممالة:

* أما الأفعال غير الممالة: فهي التي لم تدخلها الإمالة، وهي كما يعرّفها القدماء: "أنْ تميل الألف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة"28، فتتحول الفتحة القصيرة إلى كسرة قصيرة، والفتحة الطويلة إلى كسرة طويلة29، والفائدة منها هي تقريب الأصوات لحصول نوع من التشاكل والتناسب30. والأفعال غير الممالة على وزن (فَعَل) نوعان: نوع فاؤه مستفلة، ونوع فاؤه مستعلاة، وذلك كما يلي:

الأفعال مسْتفلة الفاء:

وهي التي تكون فاؤها صوتا من أصوات الاستفال31، مثل: (كتب، ونكب، ونصر، ودخل ورجف، ورقص، وكفر، ومشط، ونفض، وبسط، ودبغ، ورجم، ورفض، ورقد، وركض، وستر، وطبخ، وفلق، ومرس، ونتر، ونشر، ونفخ، ونكس) وغيرها، فهذه الأفعال تُختلس فاؤها.

وسنكتفي بتحليل فعل (كتب) وبيان الاختلاس فيه، وهو يغني عن بقية أفعال مجموعته، وهذا الفعل يحوي حركتين مفتوحتين متتاليتين متماثلتين، والتماثل قد يؤدي إلى ثقل تستوعبه العربية، لأنها لغة الفصاحة والتأنّي في إعطاء كل صوت حقّه، بينما تضيق به اللهجة التي تعتمد على السّرعة في النطق، فتختزل بعض الأصوات أو بعض الصوائت، ولذلك اختُلست حركة الكاف في الفعل (كتب) وأمثاله من مفتوح العين لتجنّب التماثل في الحركات المتتالية الذي يُحدث ثقلا في الكلمة، فأصبحت حركة الكاف بعد الاختلاس(ke) بدل (ka)،

وصار الفعل (kataba) بعد اختلاس حركة الكاف وتسكين لام الفعل: (ketab)32، بحيث يصبح الانتقال من حركة الكاف المختلسة إلى حركة التاء يسيرا وسلسا جراء التخالف بين الحركتين الذي أحدثه الاختلاس.

الأفعال مستعلية الفاء:

وهي التي تكون فاؤها صوتا من أصوات الاستعلاء33، مثل: (غدر، وغرس، وغرف، وغزل، وخرج، وخلق)، وغيرها من الأفعال التي لا تُختلس حركة فائها، لأن اختلاس هذه الحركة سيؤثر على صفة الاستعلاء في الصوت، ولذلك حافظت اللهجة على حركة الفاء كاملة.

وهناك أفعال أخرى من هذا النوع اجتمعت في فائها صفتا الاستعلاء والإطباق34، مما يعطي قوة إضافية للصوت، فأصبح اجتماع حركتي الفتح في فائه وعينه ثقيلا، ولو حدث اختلاس في صوت الفاء، لأدى إلى إضعافه بفقد صفتيْه، وحتى يحافظ الصوت على قوّته، ويحدث التخالف الضروري بين حركتي الفاء والعين لتجنب الثقل، تم إشمام35 فتحة الفاء رائحة حركة الضم التي تناسب الأصوات القوية، وتضمن التخالف بين الحركتين المفتوحتين في الأصل، ومن تلك الأفعال: (صبر، وصدم، وصفق، وضبط، وظفر36، وطلس، وطبخ)، فهذه الأفعال دخلها الإشمام، فتغيرت حركة الفتح في فائها إلى ما يشبه الضم.

* وأما الأفعال المُمالة، فإن الإمالة تدخل لام الأفعال على وزن (فعَل)، فتميلها نحو الكسر، وتُختلَس حركة فائها تبعا لذلك، ومنها: (كلا (أكل)، ومحا، وشوى، ودعا، وكوى، ومشى، وقلى، وسعى، ورمى، ونوى، وقرا، وكرى، وبدا، وجرى) وغيرها.

وهذه الأفعال تنقسم قسمين: أفعال فاؤها مستعلاة، وأفعال فاؤها مستفلة، وتختلف كمّية الاختلاس في حركة فاء الفعل بين كلّ قسم وآخر كما يأتي:

أفعال فاؤها مستعلاة:

وهذه الأفعال فاؤها صوت مستعلٍ مفخّم مثل: (قلى و قرا وغلا)، ولا يحدث فيها اختلاس بسبب استعلاء فائها، بل تظل فتحتها مكتملة، ولو اختُلست حركتها، لاختفت من الصوت صفة الاستعلاء، وهي الصفة التي تميزه.

أفعال فاؤها مستفلة:

ومِن هذه الأفعال: (كلا (أكل)، ومحَا، ودعا، ومشى، وسعى، ورمى، وكرى، وبدا، وجرى) وغيرها. فهذه الأفعال فاؤها صوت مسْتفل أي ليس مفخّما، واللهجة تختلس حركة الفاء، وسأكتفي بتحليل الفعل (كلا) ليكون نموذجا عن بقية الأفعال من صنفه، فهذا الفعل هو فعل مخفّف من الفعل (أكل)، وفي اللهجة تُمال ألفه فيصير (كلي)، ولتجنّب كثرة حركات الفم بالانتقال من الكاف المفتوح إلى اللام الذي تأثرت حركته بالإمالة فاقتربت من الكسر، اختلست اللهجة حركة الفتح في الكاف، فصارت (ke) بدل (ka) وصار الفعل بعد الاختلاس: (kelé) بدل (kala).

وهناك نوع آخر من هذه الأفعال، وهي الأفعال واوية العين أي التي عينها واو مثل: (كوَى) و(شوَى) و(نوَى)، و(طوى)، ووجود الواو بعد فاء الفعل يؤثر على حركتها المفتوحة في الأصل، فيمزجها بالضم، وسنحلل أحد هذه الأفعال، وهو الفعل (كوَى)، ليكون أنموذجا لما يماثله:

فقد وردت عين هذا الفعل المُمال في اللهجة واوا، والواو من أصوات الاستفال في العربية، إلا أن نطقه يتطلب استدارة الشفتين، مما يضطر ناطق هذا الفعل إلى إشمام حركة الفتح في فائه رائحة الضّمّة التي هي أخت الواو، استعدادا لنطق الواو، وذلك لتسهيل النطق واقتصاد الجهد، لأن الناطق الذي ينطق فاء الفعل مفتوحة أو مختلسة، ثم ينتقل إلى نطق الواو، سيجعل آلة النطق تعمل عملين، حيث تنطلق من وضعية يكون فيها الفم في حالة فتح ما بين الفكّيْن إلى وضعية تُضمّ فيها الشفتان، وفي ذلك كلفة للناطق، أما حين تشامّ حركة الفتح رائحة الضم، ثم تُنطق الواو، فإنّ آلة النطق سوف تعمل عملا واحداً، لأنها ستكون - وهي تنطق الصوتين- في وضعية واحدة، وهكذا ينتقل الفعل من الأصل (kawa)، إلى (kawé) بعد دخول الإمالة، ولتجنب كثرة عمل الفم مُزجت فتحة الكاف بالضمة، فصار: (kowé).

الأفعال مكسورة العين (فَعِل):

يقع الاختلاس في حركة فاء (فَعِل) وعينه، وتنقسم هذه الأفعال إلى أفعال مستفلة الأصوات، وأفعال مستعلية الأصوات:

الأفعال ذات الأصوات المستفلة:

وهذه الأفعال كثيرة، ومنها: (هرِم، وسكِر، وسمِن، وشرِه، وعجِز، وفشِل، وقرِم، ولعِب، وندِم، وسمِع، وتعِبْ، وفهِم، وشرِق، وشرِه) وغيرها... وسنكتفي بتحليل الفعل (هرم)، وهو يغني عن أمثاله من الأفعال: فهذا الفعل يدل في اللهجة على ذهاب العقل كلّيّا أو جزئيا بسبب الكبر، وفي العربية يدلّ على كبر السن37، وتبدو الصلة واضحة بين المعنيين.

ويدخل الاختلاس حركتي الهاء والراء بنسبتين متفاوتتين؛ ففتحة الهاء تُختلس اختلاسا تاما إلى حد السكون، لأنها لو تُركت مفتوحة دون اختلاس، لحصل ثقل في الفعل بسبب الانتقال من المفتوح إلى المكسور بعده، ولو اختُلست حركتها بحذف ثلثها، لحدث التماثل جراء اجتماع هذا الصوت القريب من الكسر مع صوت آخر مكسور، فتصير: (herim)، فيكون هناك ثقل واضح في الفعل، فكان على اللهجة أن تختلس حركة الهاء اختلاسا تاما فتسكنها، فيصبح الفعل: (hrim)، وتظل كسرة الراء ثقيلة فتُختلس، فتتحول من (ri) إلى (re)، وهكذا يصبح الفعل خفيفا: (hrem) بدل (harima) في العربية.

وهناك أفعال أخرى تنتهي بالياء، مثل: (نسي وغني، وخوي، وطوي)، فهذه الأفعال تُختَلس فاؤها اختلاسا تاما، وتظل عينها مكسورة فلا تُختلس، فالفعل (نسي) (nacia) مثلاً يصبح في اللهجة بعد الاختلاس: (nsi)

الأفعال ذات الأصوات المستعلية:

ومنها: (طمِع، وملِص، ومرِض، وحمِق، وغضِبَ، وغلِطَ)... فهذه الأفعال تُختلس فاؤها اختلاسا تاما، فتُنطق ساكنة، وتُضمّ عينها، بسبب تأثرها بالصوت المستعلي، فالفعل (طمع) مثلا يُنطق في اللهجة باختلاس حركة الفتح في الطاء اختلاسا تاما فتُنطق ساكنة، وأما الميم فتشامّ كسرتها حركة الضم، تأثرا باستعلاء الطاء الذي هو فاء الفعل، فيصبح الفعل: (tmoh) بدل (tamiha).

الأفعال مضمومة العين (فعُل):

هناك عدد من الأفعال على هذا الوزن، غير أنها ليست على نمط واحد، فبينما تحافظ اللهجة على حركة الضم في الأفعال ذات الصوت المستعلي، فإننا نجدها تعمل على تجنب ثقل الضمة، لأنها تتطلب جهدا عضليا38، فتختلسها في بعض الأفعال ذات الأصوات المستفلة، وتبدلها فتحة طويلة في أفعال أخرى، كما تفعل العرب حين تفرّ من الضمة إلى الفتحة طلبا للخفّة39، بل قد تتحول ضمة عينها كسرة بسبب الإمالة في أفعال قليلة، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أ-أفعال احتفظت اللهجة بحركة الضم فيها:

هناك أفعال حافظت اللهجة على حركة الضم في عينها فلم تختلسها، بسبب وجود صوت من أصوات الاستعلاء أو أكثر فيها، ومنها (صغُرْ، وسخُن وحمُق ونقُصْ)، ولو اختُلست حركة الضم فيها، لتأثر الصوت المستعلي، ففقد أهم صفة فيه وهي الاستعلاء، فيصير الفعل (sror) مثلا (srer)، وهو ما لا تقبله اللهجة.

أفعال اختُلست فيها حركة الضم:

تختلس اللهجة حركة الضم في بعض الأفعال التي لا تحوي بنيتها أصواتا مستعلية، وذلك مثل: (كبُر، وثقُل40، وبرُد، ونتُن)، فهذه الأفعال تُضمّ عينها في اللهجة، فالفعل (كَبُر) مثلاً يأتي في العربية مضموم الوسط بين متحركين، وتَوالي هذه الحركات تستثقله اللهجة، فتُضعف حركة الضم بالاختلاس، ويسكّن الكاف، فيخفّ الفعل في النطق بحيث لا يبقى فيه من الحركات سوى اختلاس حركة الباء، فيصير هكذا: (kber) بدل (kabor).

أفعال أُبدلت ضمّتها فتحة طويلة:

وهناك أفعال استثقلت اللهجة ضمّتها، فأبدلتها فتحة طويلة ساهمت في تخفيف الفعل، وذلك مثل: (رْزان بدل رَزُن)، و(عْراض بدل عَرُض)، و (لْطاف بدل لَطُف)، و(مْلاح بدل ملُح)، و(نْظاف بدل نَظُف)، و(كْبار بدل كَبُر)... وقد مر هذا التغيير بمرحلتين: تمثلت المرحلة الأولى في إطالة الضمة قصد إراحة المتكلم عند النطق، وهذا ما ظهر في بعض اللهجات العربية التي تطيل الضمة، كما بيّن ذلك ابن فارس في نحو: (انظور) في (انظر)41، فالواو التي نتجت عن إطالة الضمة تسمى واو الإشباع42، والمرحلة الثانية: هي إبدال الضمّة الطويلة فتحة طويلة، تسهيلا للنطق واقتصادا للجهد، فعوض أن يقال في (رَزُن): (رزُون)، قيل: (رزان)، وفي (عَرُض): (عرُوض) قيل: (عْراض)، وفي (لَطُف): (لطُوف)، قيل: (لْطاف)...

أفعال تحولت ضمة عينها كسرة:

هناك أفعال تحوّلت ضمة عينها كسرة بسبب الإمالة، ومنها الفعل (بطُؤ)، فقد تخلّصت اللهجة من همزة لامه فأبدلتها ألفاً (بطا)، فأُبدلت ضمة الطاء تبعا لذلك فتحة، ثم أميلت الألف، فأصبحت (بطِي)، والإمالة تؤثر على فتحة الطاء المبدلة عن الضم، فتحوّلها إلى كسرة. وأما فاء الفعل (الباء) فإن اللهجة تختلسها، لتخفّف على آلة النطق ثقل الانتقال من حركة الفتح إلى حركة الكسر بعدها، فيساهم الاختلاس في تقريب الحركتين، ومن ثم في سرعة النطق، ويصبح الفعل بعد التغيير : (beté) بدل (baté).

خامسا: الأفعال المضارعة:

الأفعال المضارعة هي أفعال تدل على الحال والاستقبال، ويجب أن تبتدئ بحرف من حروف المضارعة، وهي: (الألف أو النون أو الياء أو التاء)، وهذا الحرف المبدوء به قد يكون مفتوحا أو مضموما؛ فيكون مضموماً باعتبار ماضيه، فإن كان ماضيه رباعيا، فإنه يكون مضموما، مثل: يُقاتل، لأن ماضيه قاتل، أما إذا كان ماضيه

ثلاثيا أو خماسيا أو سداسيا، فإنه يكون مفتوحا، مثل: يَضرب، ويضطرب ويستحسن43، وهذه الأفعال المضارعة متولدة عن الأفعال الماضية السابقة، وهي ستة أنواع كما في المخطط أدناه:

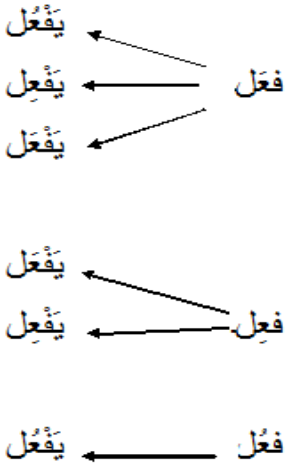

المضارع مضموم العين (يفعُل):

هذا النوع من الأفعال مشتق من (فعَل) أو (فعُل)، وقد تعاملت اللهجة معه بأشكال مختلفة؛ كما سيتضح ذلك فيما يأتي:

أفعال اختُلست حركة حرف مضارعتها:

تختلس اللهجة حركة حرف المضارعة في بعض الأفعال تبعا لاختلاس حركة عينها؛ فالأفعال: (يندب، ويحرث، ويبذر، ويبذل، ويحجب، ويرجم، وياكل، ويرجف، ويرشق)، وغيرها هي من الأفعال المضارعة مضمومة العين في الأصل44، اختُلست حركة عينها، هروبا من ثقل الضمة، واختلاس حركة العين أدى إلى اختلاس حركة حرف المضارعة؛ فالفعل (يندب) في القائمة السابقة مثلا كان قبل الاختلاس: (yandoubou)، وصار بعد الاختلاس وتسكين آخره: (yendeb). وقد ساهم اختلاس الحركتين في حصول التناسب، وفي الاقتصاد في الجهد بحيث لا يتحرك الفم إلا حركة واحدة بدل حركتين.

ويستثنى من الأفعال السابقة الفعل (يَاكل)، فإن حركة حرف المضارعة فيه لم تُختلس بسبب إبدال الهمزة الأصلية فيه ألفا قامت مقام الفتحة الطويلة للياء، مما منع الاختلاس.

وهناك أفعال أخرى اختُلست حركة حرف مضارعتها لتجنب التماثل الذي يؤدي إلى الثقل، وهي الأفعال التي أبدلت اللهجة ضمة عينها فتحة طويلة مثل: (يحْماض) بدل (يحْمُض)، و(يسْمار) بدل (يسْمُر)، و(يكْثار)45 بدل (يكْثُر)، و(يسمان) بدل (يسمُن)... ولعل اللهجة استثقلت هذه الأفعال، فأبدلت ضمة عينها فتحة طويلة، لتعطي المتكلم راحة في النطق.

ولزيادة خفة الفعل، اختُلست حركة حرف المضارعة، منعا للتماثل بينها وبين الفتحة الطويلة في عين الفعل، فمرّ الفعل (يسمُن) بهذه التغيرات: فقد كان في الأصل: (yasmoun)، ثم أبدلت ضمة عينه فتحة طويلة، فصار: (yasmaan)، ولإزالة ثقل التماثل بين الفتحتين أصبح: (yesmaan) .

أفعال لم تُختلس حركة حرف مضارعتها:

والسبب في ذلك هو إبدال ضمة عينها، فهناك أفعال أبدلت اللهجة حركة الضم في عينها فتحة قصيرة مثل: (يَحْرَن، ويَغْفَل، ويَفْرَغ، ويجْمَد، ويَفْضَل)، وذلك إما لأن بعض اللهجات العربية القديمة تفتح عين هذه الأفعال كما رووا في (فضل يفضُل ويفضَل46)، وإما لكون ضمة العين ستؤدي إلى ضم حركة حرف المضارعة بالإتْباع، وهذا ما سينتج عنه ثقل واضح في هذه الأفعال لاجتماع الضمتين، فأُبدلت ضمة عينها فتحة، ولم تتأثر حركة حرف مضارعتها، فبقيت على أصلها.

أفعال حافظت اللهجة على ضمة عينها:

لقد حافظت اللهجة على حركة الضم الأصلية في بعض الأفعال التي يدخل في بنيتها صوت من أصوات التفخيم كأصوات الاستعلاء أو الراء، مما نتج عنه ضمّ فائها المفتوحة في الأصل، وذلك في مثل: (يُبرُم، ويُدخُل، ويُقعُد، ويُكفُر). ففي كل فعل من هذه الأفعال صوت من أصوات التفخيم، ساعد على بقاء الضم في عين الفعل، وفرض الضم كذلك على حركة حرف المضارعة للمناسبة، فالفعل (يُبرُم)، فيه الراء، ولو اختُلست حركتها، لتأثرت بنْية الصوت فضعف، مما يؤثر على بنية الفعل، ولذلك تم الإبقاء على حركة الضم، لتحافظ على صوت الراء.

المضارع مكسور العين (يفعِل):

وهذا الفعل مشتق من (فعَل) أو (فعِل)، وتتغيّر في اللهجة حركة الكسر في هذا الفعل بالاختلاس أو بالإبدال، لتجنب ثقل الكسرة، وذلك كما يأتي:

أفعال اختُلست حركة فائها وعينها:

هناك عدد كبير من أفعال هذه المجموعة اختُلست حركة عينها، فاختُلست تبعا لذلك حركة حرف مضارعتها، وذلك مثل: (يدفن، ويرشف، ويسبق، ويحفر، ويحقر، ويختل، ويختم، ويعدل، ويعذر، ويغرس، ويغرف، ويغفر، ويغلب، ويكشف، ويكنز، وينتف، ويحبس، ويردم، ويعجن، ويعدل، ويغبن، ويغفر، ويفرز، ويكسب). فهذه الأفعال مكسورة العين في العربية47، إلا أن الانتقال من الفتح التام في حركة حرف المضارعة إلى الكسر التام في عين الفعل يحدث ثقلا تقبله العربية، ولكن اللهجة تأباه، لأن من أهم صفاتها السرعة في النطق، والتخفيف، والاقتصاد اللّغوي.

ومن أجل ذلك تحاشت اللهجة ثقل تتابع الحركتين التامتين فاختلستهما؛ فقد اختلست حركة حرف المضارعة وحركة عين الفعل، فتساوت الحركتان وتماثلتا، وصار الانتقال بينهما سهلا يسيرا، فالفعل (يدفن) مثلا يصير بعد الاختلاس هكذا: (yedfen) بدل (yadfin)، وهذا ما يوفر على آلة النطق جهدا، ويساهم في خفة الفعل.

أفعال أُبدلت حركة فائها وعينها ضمة:

هناك بعض الأفعال من هذه المجموعة مثل: (يربط، ويغدر، ويضرب، ويصبر، ويلظم48، ويفصل، ويشرط، ويحصد)، وردت في اللهجة مضمومة العين ومضمومة حرف المضارعة مع أنها في الأصل مكسورة العين ومفتوحة حرف المضارعة، والسبب في ذلك هو وجود صوت أو صوتين من أصوات التفخيم في بنية الفعل، وسنبين ذلك من خلال أحد أفعال المجموعة، وهو الفعل (يربط) مكسور العين في المضارع في العربية، وعند نطقه تنتقل آلة النطق من فتحة حرف المضارعة، ثم ترتفع لنطق الراء الساكنة، ثم تنخفض لتنطق كسرة

الباء، ثم ترتفع لتنطق الطاء المفخمة. وإذا كانت العربية تستوعب كل هذه التحركات، فإن اللهجة لا تقبلها، فتختزل ذلك كله في حركة واحدة وهي الضمّ في حرف المضارعة وعين الفعل، فيتحرك الفم حركة واحدة بدل عدة حركات، ويصير الفعل هكذا (yorbot) بدل (yarbit).

المضارع مفتوح العين (يفعَل):

وهذا النوع من الأفعال مشتق من (فعَل) أو (فعِل)، وتجتمع في مضارعه فتحتان؛ فتحة حرف المضارعة وفتحة العين، وخفّة حركة الفتح تساعد في سهولة الانتقال وسلاسته، وتكون فاؤه الساكنة كفاصل مريح بين الحركتين تعمل على إزالة الثقل الذي ينجرّ عن التماثل، بحيث يصدر الفعل خفيفا على اللسان، ولا يحتاج إلى اختلاس أية حركة.

ومن أفعال هذا النوع ما أصله (فعَل)، مثل: (يجرَح، ويرجَع، ويدمَع، ويرهَن، ويسرَح، ويصلَخ49، ويطحَن، ويلدَغ، ويلسَع، ويلعَب، ويمنَع، ويمضَغ، وينصَح، ويبعَج، ويخدَع، ويدعَك، ويدغرَ، ويذبَح، ويرحَل، ويرفَع، ويزحَف، ويطرَح، ويفجَع) وغيرها،

ومنها ما أصله (فعِل) مثل: (يدهَش، ويرغَب، ويسهَر، ويشبَع، ويعطَش، ويمرَض، ويبخَل، ويبلَع، ويجهَل).

ومنها ما أصله (فعُل)، وهي الأفعال التي سبق ذكرها في المضارع مضموم العين مثل: (يَحْرَن، ويَغْفَل، ويَفْرَغ، ويجْمَد، ويَفْضَل). وكل هذه الأفعال تنطقها اللهجة بالفتح في حركة حرف المضارعة وفي العين، وأصلها مضمومة العين.

وتبقى بعض الأفعال تضطر الناطق في اللهجة إلى إبدال حركة عينها وحركة حرف مضارعتها ضمة، بسبب وجود أصوات الاستعلاء، مثل: (يُخطُف، ويُسرُط، ويُرمُض).

خاتمة:

وبعد هذه الجولة العلمية يمكننا الوصول إلى النتائج التالية:

- لقد ركز علماء القراءات على موضوع الاختلاس أكثر من النحاة، وذلك لارتباطه بالقراءات القرآنية.

- هناك اضطراب واضح بين علماء القراءات والنحاة في تحديد المصطلحات الدالة على التدرج الحركي، وقد تم في هذا المقال ضبط هذه المصطلحات، لإزالة الاضطراب المصطلحي الذي حصل في هذا الموضوع.

- في الفعل الماضي يقع الاختلاس في حركة فاء (فعَل) في الأفعال مستفلة الفاء، بينما لا يقع في الأفعال مستعلية الفاء، كما تُختلس فاء (فعَل) في الأفعال الممالة وغير الممالة.

- يدخل الاختلاس فاء (فعِل) سواء في الأفعال ذات الأصوات المستفلة أم الأفعال ذات الأصوات المستعلية، وهذه الأخيرة تُختلس فاؤها اختلاسا تاما، فتُنطق ساكنة وتُضم عينها بسبب تأثرها بالصوت المستعلي.

- في الأفعال مضمومة العين في الماضي (فعُل) تحافظ اللهجة على حركة الضم في الأفعال ذات الأصوات المستعلية، بينما تُختلس الضمة في الأفعال ذات الأصوات المستفلة، بل قد تتحول ضمة عينها كسرة بسبب الإمالة في أفعال أخرى.

- يدخل الاختلاس حركة حرف المضارعة في المضارع مكسور العين في لهجة سوف، وهناك بعض الأفعال من هذه المجموعة وردت في اللهجة مضمومة العين ومضمومة حرف المضارعة، مع أنها في الأصل مكسورة العين ومفتوحة حرف المضارعة بسبب وجود صوت أو أكثر من أصوات التفخيم في بنية الفعل.

- المضارع مفتوح العين لا يدخل الاختلاس حركاته بسبب خفة حركة القتح، إلا أن بعض الأفعال تضطر الناطق في اللهجة إلى إبدال حركة العين وحركة حرف المضارعة ضمة بسبب وجود أصوات الاستعلاء.

هوامش وإحالات المقال

[1] - المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، 4/ 262.

[2] - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، 3/ 923.

[3] - ينظر مقاييس اللغة، ابن فارس، 208/2.

[4] - تهذيب اللغة، الأزهري، 78/7.

[5] - ينظر لسان العرب، ابن منظور، 65/6.

[6] - التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ص 59.

[7] - التحديد في الإتقان والتجويد، الداني، ص 98.

[8] - ينظر: شرح الهداية، المهدوي، ص70، 71.

[9] - سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 71، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 235/2.

[10] - معجم مصطلحات التجويد والقراءات، إبراهيم الدوسري، ص22.

[11] - الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، 443/2.

[12] - شرح طيبة النشر في القراءات العشر، النويري، 370/2، 371.

[13]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 70/1.

[14] - تفسير الرازي، 56/1.

[15] - مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، ابن الطحان، ص65.

[16] - النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 126/2.

[17]- تصويبات للشيخ أبي خالد السلمي على كتاب البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي، http//www.ahlalhdeeth.com

[18] - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، ص 27.

[19] - النشر في القراءات العشر، 2/ 126.

[20] - الصحاح، الجوهري، 5/ 1938.

[21] - همع الهوامع، السيوطي، 3/ 432.

[22] - شرح المفصل، ابن يعيش، 5/ 209.

[23] - علل النحو، ابن الوراق، ص 156.

[24] - أثر القراءات والأصوات في النحو العربي، عبد الصبور شاهين، ص370.

[25] - النشر في القراءات العشر، بن الجزري، 2/ 126.

[26] - ينظر: مختار الصحاح، الرازي، ص7.

[27] - أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، علي عبد الله القرني، ص 220 .

[28] - شرح الشافية، الإستراباذي، 4/3، وشرح المفصل، ابن يعيش، 54/9، والمقتضب، المبرد، 42/3، والكشف، مكي، 168/1.

[29] - دراسة في علم الأصوات، حازم علي كمال الدين، ص 170.

[30] - ينظر شرح المفصل، ابن يعيش، 54/9، وهمع الهوامع، السيوطي، 375/3، وحاشية الصبان على شرح الأشمونى، 310/4.

[31] - أصوات الاستفال: هي الأصوات المرققة، وهي غير أصوات التفخيم والاستعلاء التي هي: الخاء، والصاد، والضاد، والغين، والطاء، والقاف، والظاء. ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ص 372.

[32] - اضطُررتُ إلى كتابة بعض الأفعال باللغة الأجنبية، من أجل بيان الحركة المختلسة، فهذه اللغة تتوفر على الصوائت الدالة على الاختلاس، وقد أشار علماء القراءات إلى الاختلاس والروم والإشمام بحركة، وهي نقطة بين يدي الصوت، ولكن يبدو أنه يتعذّر على كثير من الناس فهمه، فلا بتحقق المقصود.

[33]- ينظر الهامش قبل السابق ففيه حديث عن أصوات الاستعلاء.

[34]- أصوات الإطباق أربعة وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء. ينظر: معجم علوم القرآن، ص 265.

[35]- من معاني الإشمام هو خلط حركة بحركة. ينظر: معجم علوم القرآن، ص3.

[36] - أصل الظاء ضاد، ولكن اللهجة تنطق كل ضاد ظاء. تنظر مادة (ضفر) في لسان العرب، 4/ 489.

[37] - مقاييس اللغة، ابن فارس، 48/6.

[38] - في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص85.

[39] - ينظر التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، 2/ 49.

[40] - صوت القاف هنا لا تنطقه اللهجة مستعليا، وإنما تنطقه كالجيم المصرية، فيزال استعلاؤه، ويصير كالأصوات المستفلة.

[41] - ينظر الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 25 وما بعدها.

[42] - تاج العروس، الزبيدي، 40/ 523.

[43] - حركة حروف المضارعة، عبد الله بن ناصر القرني، ص 459.

[44] - ينظر كل فعل في مادته في مختار الصحاح.

[45] - يقال في هذا الفعل في اللهجة: (يكثَر ويكثار).

[46] - مختار الصحاح، الرازي، ص 240.

[47] - يُنظر كل فعل في مادته في مختار الصحاح.

[48] - أصل هذا الفعل من مادة (نظم)، ولكن اللهجة تبدل النون لاما. تنظر مادة نظم في: الصحاح، الجوهري، 5/ 2041.

[49] - أصل الصاد سين، ولكن اللهجة تفخم السين حتى تنطقها صادا. ينظر أساس البلاغة، الزمخشري، 1/ 468.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، علي عبد الله القرني، رسالة دكتوراه ، إشراف سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، السعودية، 1425هـ، 2004م.
2. أثر القراءات والأصوات في النحو العربي، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، 1408هـ، 1987م.
3. أساس البلاغة، الزمخشري جار الله، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م.
4. الإعراب سمة العربية الفصحى دراسة تتناول وظيفته وتقويما لمنابع بيانه وعلاقته بالأداء، محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
5. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ- 2000م.
6. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
7. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
8. التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، تح: الدكتور غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار – بغداد، ط1، 1407هـ- 1988م.
9. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ط1 .
10. تصويبات للشيخ أبي خالد السلمي على كتاب البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي، **http//www.ahlalhdeeth.com**.
11. التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، - 1420هـ.
12. التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تح: على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ - 1985م.
13. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
14. حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، محمد الصبان، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1417هـ -1997م.
15. حركة حروف المضارعة، عبد الله بن ناصر القرني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 119، 1423هـ.
16. دراسة في علم الأصوات، .حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1420 هـ، 1999م.

17. سر صناعة الإعراب، ابن جني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م.
18. شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، تح: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.
19. شرح الهداية، المهدوي، تح حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1995.
20. شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي، تح: مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1395هـ، 1975م.
21. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، أبو القاسم محمد بن علي النويري، تح مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م.
22. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ، 1997م.
23. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ- 1987م.
24. علل النحو، ابن الوراق، تح: جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420 هـ - 1999م.
25. في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 2003م.
26. الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1394هـ - 1974م.
27. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
28. المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، تح: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب – بيروت، لبنان، 1414هـ -1994م، ط1.
29. مختار الصحاح، الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ - 1999م.
30. مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، ابن الطحان، تح: حاتم صالح الضامن، مكتبة التابعين، القاهرة، مصر، ط1، 2007م.
31. معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم – دمشق، ط1، 1422 هـ - 2001م.
32. معجم مصطلحات التجويد والقراءات، إبراهيم الدوسري، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1425هـ- 2004م.
33. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، 1399هـ، 1979م.
34. المقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت.
35. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، 1423هـ - 2002م.
36. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، المطبعة التجارية الكبرى.
37. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.